الفصل الثالث

الصحافة الصهيونية والواقع السياسى والثقافى فـــى مصـــــر

obeikandl.com

obeikandl.com

الصحافة الصهيونية
والواقع السياسى والثقافى
فى مصر

لقد بذلت الصحافة اليهودية فى مصر قُصَارَى جهدها لإبعاد مصر عن الصراع العربى والصهيونى فى فلسطين وذلك إدراكاً منها للوزن التاريخى والحضارى والسياسى الذى تشغله مصر فى المنطقة العربية وخوفاً من الآثار السلبية التى سوف تنعكس على مصالح الحركة الصهيونية ونشاطها فى فلسطين فى حالة ما إذا ألقت مصر بثقلها إلى جانب الحركة الوطنية الفلسطينية فضلاً عما سيؤدى إليه الموقف المصرى من تأثير على سائر الدول العربية التى لابد أنها ستحذو حذو مصر فى النهاية.

وتطلعاً إلى تحقيق هذا الهدف الاستراتيجى بالنسبة للحركة الصهيونية فى مصر لجأت القوى الصهيونية إلى استثمار جميع إمكانياتها العلنية والخفية والمباشرة وغير المباشرة من أجل استمالة القوى السياسية المصرية ومحاولة استقطاب المثقفين المصريين وكسب تأييدهم للحـ ب الصهيونى بشتى الوسائل سواء بإصدار صحف مشتركة أو "ـ ـس داخل الصحف المصرية أو الضغط على الصحافة الوطنية بالأساليب الاقتصادية «الإعلانات والاشتراكات» أو التصدى المباشر للصحف المصرية التى قامت بفضح الأهداف الصهيونية وتنبهت إلى الخطر الصهيونى منذ وقت مبكر.

وفى هذه الحالة كانت الصحافة الصهيونية لا تتوانى عن شن هجومها والعمل على تشويه سمعة الصحف الوطنية فى مصر واتهامها

بالعمالة والتشكيك فى وطنيتها.

ورغم تسلل العناصر الصهيونية داخل الحركة الوطنية المصرية ورغم المحاولات الصهيونية لاستقطاب كبار المثقفين والمفكرين المصريين إلى جانبها فإننا عندما نحاول استقراء موقف الصحافة الصهيونية من الحركة الوطنية المصرية سوف نكشف انها لم تحظ إلا باهتمام ضئيل من جانب هذه الصحف بل لم يقتصر الامر على ذلك ولكن يمكن اعتبار هذا الاهتمام الضئيل مرادفا صحيحا لموقف الصحف الصهيونية ونوع المعالجات التى تناولت بها المسائل المصرية وخصوصا القضية الوطنية اذ انه علاوة على الاسلوب السطحى فى التناول كان هناك حرص بالغ من جانب هذه الصحف على تأييد كل من يتولى السلطة فى مصر حتى تكسب رضا جميع القوى السياسية المصرية على حد سواء.

وقد كان الموقف المتوقع نتيجة لكل ذلك هو تظاهر الصحف الصهيونية بتأييد الحركة الوطنية المصرية فى نضالها ضد الاستعمار البريطانى، وذلك كى تبدو جزءاً لا يتجزأ من المجتمع المصرى الذى تحرص على الادعاء بالانتماء إليه، رغم ما قد يحمله هذا الموقف من تناقض شكلى بالنسبة للمصالح الصهيونية فى مصر، ولكن خريطة الأعداء والحلفاء كانت واضحة المعالم فى أذهان الساسة الصهيونيين وركائزهم فى مصر، كما أن الازدو جية وتغيير المواقع بما يتفق مع طبيعة كل مرحلة من مراحل النشاط الصهيونى كان يعد إحدى السمات المدروسة بالنسبة للتحرك الصهيونى فى مصر.

وكى تتضح الصورة أمامنا لابد أن نستعرض علاقة الصهيونية بكل من القوى التالية:

١ ـ القوى السياسية المصرية.

٢ ـ المثقفون المصريون.

٣ ـ الصحافة المصرية.

أولاً: القوى السياسية المصرية والصهيونية

مع نهاية الحرب العالمية الأولى ظهرت الحركة الوطنية المصرية كقوة حاسمة فى مواجهة الاستعمار البريطانى ـ تلك القوة التى بلغت أوجها فى قيام ثورة ١٩١٩، أول ثورة تحريرية فى العالم الثالث بعد الحرب العالمية الأولى. وكانت تهدف فى الأساس إلى تحقيق الاستقلال الكامل لمصر ولكنها انتهت إلى الاستقلال المقيد بالتحفظات الأربعة التى نص عليها تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ .

وقد شهدت تلك الفترة صدور وعد بلفور ١٩١٧ وما تمخض عنه من تكثيف للنشاط الصهيونى فى الشرق العربى وخصوصاً فى مصر التى كانت تمثل أحد مراكزه الهامة حيث أعلن قيام أول فرع للمنظمة الصهيونية العالمية فور صدور الوعد مباشرة وتزعمه ليون كاسترو المحامى الصهيونى المعروف الذى تمكن من خلال المواقع العديدة التى شغلها فى الحياة المصرية أن يقدم خدمات جليلة للحركة الصهيونية.

وقد انضم ليون كاسترو إلى قيادة الحركة الوطنية المصرية التى كا يمثلها الوفد وتمكن ليون كاسترو من كسب ثقة الزعيم سعد زغلول الذى صحبه معه فى وفد المفاوضات إلى لندن وقام بتكليفه بالتحدث باسم حزب الوفد فى أوروبا. كما صرح له بإصدار صحيفة Liberte الناطقة باسم الوفد باللغة الفرنسية.

وقد نجح ليون كاسترو من خلال الدور المزدوج الذى لعبه فى استثمار كل الإمكانيات التى أتاحتها له الحركة الوطنية المصرية لصالح الحركة الصهيونية وإقامة الوطن اليهودى فى فلسطين فقد جند صحيفته اليومية الوفدية

للدعاية للفكر الصهيونى وكان يقوم بتحويل الاعتمادات المخصصة للدعاية للحركة الوطنية المصرية فى الخرج إلى الصندوق القومى اليهودى «الكرين كايميت» لشراء الأراضى الفلسطينية وإقامة مستعمرات صهيونية عليها.

ولا شك أن الخط الفكرى السياسى لحزب الوفد الذى كان يلتزم بالمضمون القومى المصرى فحسب ولم يول القضايا العربية اهتماماً كافياً قد شجع إلى حد كبير العناصر الصهيونية على التسلل داخله كما أن السياسة الحكيمة التى اختطها الوفد لتحقيق الوحدة الوطنية باحتضانه جميع الطوائف والأديان قد مهدت الطريق فسيحاً أمام اليهود المصريين المنتمين للصهيونية لتتغلغل داخل صفوف الوفد واستثمار ذلك لصالح الصهيونية فى النهاية.

غير أن موقع حزب الوفد على رأس الحركة الوطنية المصرية وكفاحه ضد الاستعمار أدى إلى اقترابه من انحركات الوطنية المصرية فى العالم العربى من خلال استجابة الجماهير المصرية المتعاطفة مع قضايا الإسلام فى الوطن العربى وخصوصاً حادث البراق الذى اهتز له الشعب المصرى بعمق. وكان هذا الحدث نقطة تحول هامة فى موقف حزب الوفد من القضية الفلسطينية، ومن هنا بدأت نظرة الوفد إلى القضايا العربية تتطور شيئاً فشيئاً، وفى مطلع الثلاثينيات أخذ الوفد يعترف بوجه مصر العربى، وفى أبريل ١٩٢٦ نشبت ثورة فلسطين الكبرى واستمرت ثلاثة أعوام، وفى هذا الوقت كانت المفاوضات المصرية البريطانية تجرى لحل القضية المصرية وكانت مظاهر التضامن مع شعب فلسطين قد تجاوزت رسمياً وشعبياً الحدود التقليدية واتجهت إلى مشاركة الفلسطينيين وتأييد نضالهم وذلك رغم أن الحكومة المصرية تعمدت إخفاء مشاعرها المتضامنة مع شعب فلسطين حرصاً على مفاوضاتها مع بريطانيا التى انتهت بمعاهدة ١٩٣٦، على أن هذا كله لم يمنع النحاس باشا من الإعراب

عن تضامن مصر حكومة وشعباً مع شعب فلسطين حين صرح «أن مصر لا تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدى تجاه ما يجرى فى فلسطين» وأعلن عن مساندتها لمطالب الشعب العربى الفلسطينى[١].

وكان النحاس باشا قد عقد جلسة خاصة مع مستر إيدن ناقش فيها القضية الفلسطينية وأوضح له عدم رضائه عن مشروع التقسيم كما أعرب عن ذات الموقف للسفير البريطانى السير مايلز لامبسون فى يوليو ١٩٣٧ وأوضح له أنه لا يستطيع أن يشعر بالاطمئنان وهو يفكر فى قيام دولة يهودية على حدود مصر. إذ ما الذى يمنع اليهود من ادعاء حقوق لهم فى سيناء فيما بعد[٢].

والواقع أن هذه المخاوف التى جسد بها النحاس باشا إدراكه لأبعاد الخطر الصهيونى كانت الصحف الوفدية قد أشارت لها منذ عام ١٩٢٨ عندم نشرت كوكب الشرق مقالاً منقولاً عن صحيفة «دورها يوم» العبرية وصحيفة «بالستين ويكلى» البريطانية تحت عنوان مصر وسيناء، ويدعو هذا المقال إلى جعل فلسطين وطناً لليهود على أن تصبح مستعمرة بريطانية مثل كندا واستراليا وتضم إليها شبه جزيرة سيناء بعد أن تقتطع من مصر.

وقد أشار الكاتب إلى عدم أهمية سيناء لمصر ودليل ذلك أن الحكومة المصرية قد وافقت منذ ٢٥ سنة للدكتور هرتزل على إرسال بعثة إلى جزيرة سيناء لتدريس إمكان اتخاذها وطناً لليهود، وأن هذا كاد يتم لولا أن البعثة لم تعجبها سيناء[٣].

(١) عبدالعظيم رمضان ـ الحركة الوطنية المصرية ١٩٣٧ ـ ١٩٤٨ ـ القاهرة هيئة الكتاب «١٩٤٨» ص ٢٥٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٥٧ .

(٣) كوكب الشرق ٢٨ ـ ١٢ ـ ١٩٢٨.

وتعلق كوكب الشرق على ذلك بأن هذا المشروع هو فى أساسه أحد مشروعات السياسة البريطانية وقد جاء ذكره فى كتاب اسمه الدومينيون السابع. وتبدى الصحيفة الوفدية دهشتها بسبب موقف الحكومة المصرية آنذاك ، حكومة محمد محمود باشا ، التى تقرر فتح اعتمادات مالية كبيرة لإصلاح الطرق فى شبه جزيرة سيناء فى الوقت الذى يتردد فيه ذكر هذا المشروع فى الصحف البريطانية والصهيونية، وتتساءل: هل يمكن أن يكون ذلك محض صدفة؟ ثم تعود الصحيفة وتستدرك قائلة ، ولو أن فى مصر حكومة دستورية تقاوم أطماع الاستعمار ومن خلفها شعب يقف كتلة واحدة ولو ان فيها برلمان تعلم انجلتر أنه لا يفرط فى حقوق البلاد - وقد استطاعت انجلترا أن تقتطع واحة جغبوب من مصر فى غيبة البرلمان - فهل تستطيع الآن أن تلحق بها سيناء بعد أن محيت الحياة النيابية أصلاً[1].

والواقع أن حزب الوفد باعتباره قيادة الحركة الوطنية المصرية قد سمح للعناصر الصهيونية بأن تنشط وتستفيد من مناخ لتسامح الدينى والسياسى السائد، وقد كان ذلك يرجع إلى عدة أسباب أبرزها غياب البعد العربى من الرؤية الأيديولوجية والسياسية للوفد.

يضاف إلى ذلك انشغال الوفد فترة ما بين الحربين بمعركة الدستور ضد القوى المنسلخة منه والتى وضعت نفسها فى خدمة السراى والاحتلال فإذا كان الإنجليز قد ألقوا فى المعركة بحزب الأحرار الدستوريين فإن السراى بدورها ألقت بحزب الاتحاد وحزب الشعب والهيئة السعدية ضد الوفد[2].

وقد تفاوتت درجات العداء لدى هذه القوى إزاء القضايا العربية

(١) كوكب الشرق ٢٨ - ١٢ - ١٩٢٨.

(٢) محمد أنيس ورجب حراز - التطور السياسي للمجتمع المصري الحديث - دار النهضة القاهرة - ١٩٧٣ - ص ١٠٣ .

وكانت بريطانيا تغذى هذا الاتجاه وتشجعه. وفى إطار هذه السياسة كان الإنجليز يعارضون أى اتجاه مصرى من الشعب الفلسطينى والعربى، علاوة على الأهداف البعيدة التى كانت ترمى إليها بريطانيا من محاولة استغلال البعد الطائفى للصهيونية وما سيترتب على وجودها فى فلسطين من ردود الفعل الدينية، مما يضمن لإنجلترا انحراف الحركة الوطنية عن اتجاهها السياسى والاجتماعى الصحيح إلى مسارات عنصرية وطائفية ليس فى فلسطين فحسب بل فى المنطقة العربية بأكملها.

ولكن بالنسبة لمصر استطاع الوفد أن يحبط تلك الخطة الاستعمارية وفتح أبوابه لجميع أبناء الأمة من مسلمين وأقباط ويهود. ولكن كان لذلك نتائجه السلبية من ناحية أخرى، إذ استغلت العناصر اليهودية ذات الانتماء الصهيونى تلك الروح العلمانية لدى الوفد وتسللت داخله وجندت إمكانياته لصالح الأطماع الصهيونية فى فلسطين كما سبق أن أسلفنا.

وبالنسبة لموقف الأحرار الدستوريين من القضية الفلسطينية والنشاط الصهيونى فى مصر فقد كان محكماً بفلسفتهم السياسية التى تبلورت فى الفكرة القومية المصرية المنعزلة عن العرب فى خارج الدولة وعن الشعب المصرى فى داخلها.

وقد وقفت حكومتهم «حكومة محمد محمود باشا» ضد ثورة شعب فلسطين فى ١٩٢٩ .

وكتب صحيفة السياسة لسان حال الحكومة فى ذلك الوقت تهدد الوطنيين الفلسطينيين فى مصر بالطرد لاتهامهم بإثارة الفتنة الطائفية لدى الشعب المصرى وتهييجهم للرأى العام.

كذلك عندما تولى إسماعيل صدقى الوزارة ١٩٣٠ صادر وأغلق كثيراً من الصحف الوطنية وفضلاً عن الإرهاب والبطش الذى مارسه ضد

الحركة الوطنية المصرية، أغلق جريدة الشورى الفلسطينية التى كانت تصدر فى مصر وكان يرأس تحريرها محمد على الطاهر من مؤيدى حزب الوفد.

هذا فى الوقت الذى شمل برعايته صحيفة إسرائيل التى أنشأها البيرت موصيرى منذ عام ١٩٢٠ وكانت لسان حال الحركة الصهيونية فى مصر، وكان إسماعيل صدقى وهو وزير للداخلية ١٩٢٥ قد اعتقل الوطنيين الفلسطينيين الذين هتفوا ضد بلفور صاحب الوعد الشهير أثناء مروره على القاهرة فى طريقه إلى فلسطين لافتتاح الجامعة العبرية[١].

كذلك أوفدت حكومة زيور باشا أحمد لطفى السيد مندوباً عن الجامعة المصرية لحضور احتفالات افتتاح الجامعة العبرية ١٩٢٥ .

كما اشتركت حكومة إسماعيل صدقى فى معرض تل أبيب الصهيونى الذى أقيم فى ربيع ١٩٢٢ . فضلاً عن أن المعروضات المصرية التى أرسلت إلى المعرض عادت كلها إلى مصر بدون أن يبتاع منها اليهود شيئاً. وقد ذكر ممثل مصر فى تقريره عن معرض تل أبيب أسباب ذلك الكساد الذى أصاب المعروضات المصرية فى ذلك المعرض[١]. فقال أن أهل فلسطين وهم يمثلون ٨٠٪ من السكان قد قاطعوا ذلك المعرض مقاطعة تامة.

أما السراى فقد عبرت عن موقفها من الصهيونية من خلال الصحيفتين اللتين أصدرهما حزبا الاتحاد والشعب وهما صحيفتا الاتحاد والشعب ورغم أن «الاتحاد» كانت تصور الصراع فى فلسطين على أن المسلمين والمسيحيين فى فلسطين يواجهون تهديداً خطيراً لكيانهم القومى يتمثل أساساً فى الخطر الصهيونى علاوة على وقوع بلادهم تحت الانتداب البريطانى وترى أن إنشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين

(١) عواطف عبدالرحمن ـ مصدر سابق ص ١٨٠ .

(٢) كوكب الشرق ٩ ـ ٣ ـ ١٩٢٢ . معرض تل أبيب.

ليس هو الحل الأوحد المطروح لمشكلة اليهود فى العالم فإنها كانت تطرح حلاً للصراع الفلسطينى الصهيونى البريطانى يلتقى مع الحلول التى طرحتها الصحافة الصهيونية فى مصر وروجت لها المقطم والسياسة، وهو ضرورة الاتفاق بين الفريقين لتسوية ما بينهما من خلافات. وقد دأبت «الاتحاد» على ترديد هذه النغمة فى أكثر من مقال حتى وصلت إلى حد الادعاء بأن الدوائر العربية المتطرفة قد بدأت تقتنع بهذا الحل.

هذا وقد تولت صحيفة المقطم نقل وجهة نظر الاحتلال البريطانى فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية والنشاط الصهيونى فى مصر وفلسطين.

وقد كان من المتوقع بالنسبة لهذه الصحيفة فى ضوء ما عرف عنها من ارتباط وثيق بالسياسة البريطانية أن تكون لسان للدفاع عن الصهيونية فى مصر وتسفر عن موقف شديد العداء لحقوق الشعب الفلسطينى. ولكن ما حدث كان مختلفاً من ناحية الشكل على الأقل. إذ طبقت المقطم هذا المخطط بالفعل ولكن من خلال سياسة حكيمة شديدة الدهاء والنعومة. فهى الصحيفة المصرية الوحيدة التى أتاحت الفرصة للكتاب العرب واليهود لإبداء وجهات نظرهم على صفحاتها فى مختلف التطورات التى طرأت على مسرح الأحداث فى فلسطين خلال تلك المرحلة.

ورغم أنها كانت تبيح للفلسطينيين فرصة الكتابة والرد على وجهة النظر الصهيونية بنصيب مضاعف، ومن خلال إجراء إحصاء سريع لهذا الموضوع تبين لنا أن النسبة تبلغ مرة واحدة لكل كاتب فلسطينى مقابل مرتين ونصف أو ثلاث مرات للكاتب اليهودى[1].

ولذلك أصبحت وجهة النظر الصهيونية مطروحة بشكل شبه دائم على صفحات المقطم.

(١) عواطف عبدالرحمن ـ مصدر سابق ص ٢٢١ .

وفيما يتعلق بموقف سائر القوى السياسية المصرية من الصهيونية فإننا نجد أن حركة الإخوان المسلمون قد استطاعت أن تحرك الرأى العام المصرى تجاه القضية الفلسطينية من الزاوية الدينية بكل ما يترتب عليها من ردود فعل معادية للحركة الصهيونية واليهود فى مصر. وقد استفادت حركة الإخوان المسلمين سياسياً عندما نجحت فى تفجير السخط لدى الشعب المصرى إزاء الحركة الصهيونية بتصويرها المعركة فى فلسطين على أنها معركة بين اليهودية والإسلام وليست معركة قومية.

وقد دأبت صحيفة الإخوان المسلمين على توجيه اللوم والنقد لموقف المفكرين المصريين المتسم بالسلبية إزاء هذه القضية الإسلامية الهامة. ولم تكف عن إجراء المقارنة بين سلبية هذه القيادات الفكرية والدينية وبين إيجابية القوى الصهيونية الظالمة التى وفدت على فلسطين من سائر بقاع الأرض دون وجه حق وتجمعت حول الحرم تهتف فى العام القادم يا إسرائيل.

لو نظر المسلمون إلى ذلك وفهموا ما يرمى إليه اليهود لتجافت جنوبهم عن المضاجع وسارعوا لإنقاذ الحرم قبل أن يأتى الوقت الذى يريدون فيه الصلاة فلا يستطيعون(١).

أما حركة مصر الفتاة فقد عرفت باتجاهها العربى منذ بدء تكوينها فى أكتوبر ١٩٣٣ وقد كان اهتمام مصر الفتاة بالقضية الفلسطينية تابعاً فى الأساس من مصدر عنصرى متعصب ضد اليهود مبعثه كراهية اليهود كطائفة وقد ترتب على هذا المفهوم الخاطئ لطبيعة الصراع الفلسطينى الصهيونى تورط مصر الفتاة فى القيام بحملات عنصرية معادية لليهود المصريين وتحريض المواطنين على مقاطعتهم اقتصادياً ومحاولة تهييج واستثارة الرأى العام المصرى ضدهم(٢).

أما اليسار المصرى الماركسى فقد تطورت مواقفه إزاء القضية

(١) الإخوان المسلمون ٢٨ ـ ٤ ـ ١٩٣٦، ١٩ ـ ٥ ـ ١٩٣٦ .

(٢) أحمد حسين: نصف قرن من العروبة وقضية فلسطين ـ المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت ١٩٧١ ص ٥٨ .

الفلسطينية والحركة الصهيونية فى ضوء عاملين هامين أولهما يتعلق بالتطور الذى طرأ على موقف اليسار المصرى من فكرة العروبة والقضايا العربية ككل. وثانيهما يتعلق بالتطور الذاتى للقضية الفلسطينية وتصاعد النشاط الصهيونى فى فلسطين خصوصاً بعد صدور وعد بلفور.

والواقع أن الحزب الشيوعى المصرى الذى تأسس فى أغسطس ١٩٢١(*) قد حدد موقفه من الفكرة العربية من خلال الشعارات التى

(*) فى أعقاب ثورة ١٩١٩ تجمعت الحلقات الماركسية المصرية مع الأجنبية مكونة الحزب الاشتراكى المصرى الذى أعلن برنامجه الأول فى ٨ أغسطس ١٩٢١ وفى يناير ١٩٢٣ تقرر تغيير اسم الحزب إلى الحزب الشيوعى المصرى. وفى عام ١٩٢٤ وتحت ضغط أصحاب رؤوس الأموال الأجانب وتهديد سلطات الاحتلال البريطانى التى أرسلت بوارجها إلى الإسكندرية ـ قام سعد زغلول بإصدار أوامره بحل الحزب واتحاد العمال المصرى معاً، وأصدر أحكاماً قاسية على قادة الحزب. لكن الحزب الشيوعى المصرى لم يتحطم تماماً سنة ١٩٢٤ بل استمرت بعض خلاياه تعمل فى كثير من المدن المصرية وأعاد الحزب تنظيم نفسه وكون لجنة مركزية جديدة وكان على صلة دائمة بالحزب الشيوعى الفلسطينى وظل باستمرار فرعاً معترفاً به من الدولية الشيوعية. هذا وكان نشاط الحزب سرياً تماماً. ولم تتوقف الحكومة المصرية عن مطاردة الحزب طوال تلك المرحلة «العشرينيات» ولذلك كان من العسير بالنسبة للحزب الحصول على رخصة لإصدار صحيفة خاصة به فلجأ إلى استخدام بعض الصحف المرخصة وعمل على تحويلها إلى صحف ناطقة باسمه مثل صحيفة الشبيبة التى كان يصدرها الشيخ عبدالحميد النحاس وقد صدر عددها الأول من يوليو ١٩٢٣ ثم أصدرت وزارة الداخلية أمراً بإغلاقها. وقد تكررت المحاولة من جانب الحزب إذ اشترى امتياز العديد من الصحف التى لم يكتب لها الدوام وتميزت بقصر العمر نتيجة الملاحقة المستمرة من أجهزة الأمن، كمحاربتها بسلاحى الإغلاق والمصادرة. ومن أبرز هذه الصحف جريدة الحساب التى استأجر الحزب رخصتها من مارس إلى مايو ١٩٢٥ . أما فى الثلاثينيات فلم نعثر فى دار الكتب على صحف أو نشرات لليسار الماركسى. فإذا انتقلنا إلى الأربعينيات نلاحظ تصاعد النشاط اليسارى فى مصر، وقد تمثل هذا النشاط فى ظهور عدة تنظيمات ماركسية كان لكل منها صحفها ونشراتها الناطقة باسمها وكان أبرز هذه التنظيمات «لجنة العمال للتحرر القومى» التى أصدرت مجلة الضمير ثم حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى وقد أصدر مجلة الفجر الجديد.

«أ» د رفعت السعيد: اليسار المصرى ١٩٢٥ ـ ١٩٤٠ دار الطليعة بيروت ١٩٧٢ .

«ب» والترلاكور: الاتحاد السوفيتى الشرق الأوسط ـ ترجمة المكتب التجارى بيروت ١٩٧٣ .

«ج» د رفعت السعيد: اليسار المصرى القضية الفلسطينية ـ مصدر سابق.

بدأت تتردد فى بياناته عن «وحدة الشعوب العربية فى الكفاح ضد الاستعمار» وعندما تأسست عصبة النضال ضد الامبريالية فى بروكسل ١٩٢٣ طرح الماركسيون المصريون مشروع تأسيس فرع لها فى مصر يضم ممثلى مختلف القوى الوطنية وقد شارك الحزب الوطنى وزعيمه حافظ رمضان فى الاتصالات والجهود التى بذلها الحزب الشيوعى مع ممثلى العصبة، وكان المشروع ينص على تأسيس فروع مماثلة فى مختلف الدول العربية على أساس ان تشكل منها قيادة عربية يمكن أن يطلق عليه اسم «عصبة تحرير البلدان العربية» وقد كان موقف الحزب الشيوعى المصرى جزءاً من الموقف العام للحركة الشيوعية العالمية ازاء الواقع العربى فى ذلك الوقت

وقد عبر الحزب الشيوعى المصرى عن موقفه المبدئى من القضية الفلسطينية والنشاط الصهيونى فى فلسطين من خلال صحيفة «الحساب» التى نشرت مقالاً بعنوان بلفور يزور ضحيته وفلسطين تقابله بالإضراب العام[1].

ويتضمن المقال هجوماً على الصهيونية وعلى محاولات لاغتصاب فلسطين من أصحابها يقول كاتب المقال احتفل الصهيونيون فى فلسطين بتأسيس جامعتهم العبرية يوم أول أبريل الجارى فدعوا لحضور احتفالهم ذلك نخبة من رجالهم الذين يعطفون على قضيتهم ويساعدونهم فى عملهم الاستعمارى.

وكان فى مقدمة المدعوين اللورد بلفور صاحب التصريح المشهور الذى أصدره باسم الحكومة الإنجليزية والذى بموجبه أعطت إنجلترا فلسطين لليهود الصهيونيين رغم إرادة سكانها وضد كل شرع وعرف وقانون[2].

أما فى الثلاثينيات فقد أصبح موقف اليسار المصرى الماركسى تجاه القضايا العربية أكثر تحديداً والتزاماً فقد نص البند الثانى من برنامج الحزب الصادر ١٩٣١ على النضال من أجل تحرير كل الشعوب العربية

(١) رفعت السعيد: اليسار المصري والقضية الفلسطينية ـ مصدر سابق ص ٣٠ .

(٢) الحساب ٤ أبريل ١٩٢٥ .

من القهر الاستعمارى ومن أجل وحدة عربية شاملة تنتظم فيها كل الشعوب العربية الحرة[1].

ويعكس هذا الموقف الوجه الآخر لموقف اليسار المصرى من الصهيونية والقضية الفلسطينية وقد عبر عنه من خلال بعض النشرات السرية التى كان يصدرها فى ذلك الوقت. ولكن لم يتبلور مواقف اليسار المصرى من الصهيونية سوى فى الأربعينيات إذ أصبح يمتلك رؤية واضحة لحقيقة الأهداف الصهيونية فى الوطن العربى والمخاطر التى يتضمنها النشاط الصهيونى فى مصر وفلسطين وتعد «الحركة المصرية للتحرر الوطنى» من أبرز التنظيمات الشيوعية التى نشأت فى مطلع الأربعينيات وكانت تتميز بشعبيتها الواسعة وقد حرص هذا التنظيم منذ قيامه على تحديد موقف متميز عن السلطة الحاكمة وإجراءاتها. وقد تمت الوحدة بين الحركة المصرية ومنظمة الشرارة «ايسكرا» فى يوليو ١٩٤٦ فتكونت منها «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى» التى أصبحت تعبر عن وجهات نظرها من خلال صحيفة «الجماهير».

وقد عبرت هذه الصحيفة عن الموقف المباشر والشامل لليسار المصرى فى فترة صدور قرار التقسيم والإعداد لقيام دولة إسرائيل بعد اغتصاب فلسطين عام ١٩٤٨ .

ولم يقتصر موقف اليسار على استخدام صحفه ونشراته للتنبيه والتحذير من الخطر الصهيونى، بل تجاوز ذلك إلى اتخاذ مواقف عملية تمثلت فى تأسيس الرابطة الإسرائيلية لمناهضة الصهيونية وذلك لتوعية اليهود المصريين ومنعهم من الهجرة إلى فلسطين وأيضاً من أجل إقناع الرأى العام المصرى بخطأ وخطورة الدعايات العنصرية والفاشية وتحديد الفروق الواضحة بين اليهودية كدين والصهيونية كحركة سياسية.

(١) رفعت السعيد ـ مصدر سابق ص ٣٣ .

فقد اتخذ كفاح الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى والتى عرفت باسم حدتو «وهى أكبر تنظيم ماركسى فى الأربعينيات» ضد الصهيونية عدة محاور أبرزها فضح الصهيونية كحركة سياسية رجعية عنصرية عميلة للاستعمار والعمل على عزلها عن جماهير الطائفة اليهودية فى مصر، وهى الجماهير التى كانت تمثل فى الأربعينيات ثقلاً عددياً واقتصادياً هاماً.

كذلك وقفت حدتو فى وجه محاولات جر الشعب المصرى إلى مواقف عنصرية ضد الطائفة اليهودية، وقد حذرت فى عديد من بياناتها ومنشوراتها من أن «الدعاوى العنصرية التى تروج لها الصهيونية من جانب والرجعية العربية من جانب آخر لن تؤدى إلا إلى إفشال فكرة الدولة الواحدة وإلى بث روح العداوة بين العرب واليهود فى فلسطين بحيث يصبح من المستحيل معها إقامة هذه الدولة الواحدة»(١).

وقد لخصت حدتو موقفها من الصهيونية فى ثلاث نقاط جوهرية تدور حول:

أولاً: الكفاح ضد الصهيونية:

ثانياً: الدعوة لتعزيز الكفاح المشترك بين العمال العرب واليهود ضد العدو المشترك وهو الاستعمار البريطانى.

ثالثاً: الدعوة لتكوين دولة ديمقراطية موحدة مزدوجة القومية على أرض فلسطين.

وعندما نوقشت القضية الفلسطينية فى الجمعية العمومية للأمم المتحدة وقدم اقتراح التقسيم وأيده الاتحاد السوفيتى باعتباره أفضل الحلول السيئة على حد تعبيره.

(١) الجماهير ٥ ـ ٥ ـ ١٩٤٧ .

اجتمع المكتب السياسى لحدتو وناقش الأمر ووافق بالإجماع على قرار التقسيم. ولكن مما يجدر ذكره أن جماعة «الفجر الجديد» كانت ضد قرار التقسيم[1].

وبعد استعراض موقف القوى السياسية المصرية من الصهيونية والنشاط الصهيونى فى مصر نستطيع أن نقول إنه برغم هذا النشاط الصهيونى المتزايد والذى قوبل بتساهل مريب من السلطات الحاكمة وبرغم الحملات العنصرية التى اتسمت بالعداء الشديد التى نظمها أعضاء الإخوان المسلمين ومصر الفتاة التى استهدفت طرد اليهود المصريين وإقناعهم بصحة الدعاوى الصهيونية فإنه وحتى عام ١٩٤٨ لم يهاجر إلى فلسطين من اليهود المصريين سوى عدد ضئيل فقد أجمعت المصادر على أن عدد اليهود المصريين الذين تركوا مصر ما بين أغسطس ١٩٤٩، ونوفمبر ١٩٤٩ كانوا ٢٠ ألف يهودى وصل منهم إسرائيل ٧٢٦٨ فقط، وذلك عقب إعلان الحكومة المصرية رفع القيود على السفر، وهى القيود التى كانت قد فرضتها مع الأحكام العرفية فى مايو ١٩٤٨[2] .

فيما يتعلق بموقف الصحف الصهيونية من القوى السياسية المصرية نلاحظ أن تلك الصحف قد دأبت على سياسة واحدة التزمت بها بشكل عام رغم اختلاف درجات اقترابها أو ابتعادها عن القوى السياسية المصرية.

تتحدد هذه السياسة فى محاولة الانتماء أو التقرب إلى حزب الأغلبية أى الوفد مع مراعاة عدم الدخول فى صدام مع الأحزاب السياسية الأخرى والحرص فى ذات الوقت على تأييد السلطة السياسية مهما كان انتماؤها الحزبى. وقد سارت على هذا الاتجاه معظم الصحف

(١) رفعت السيد ـ مصدر سابق ص ٤٥ .

(٢) انظر علي إبراهيم عبده وخيرية قاسم ـ مرجع سابق ص ١٨١ .

والبير آربيه ـ محضر نقاش سابق.

الصهيونية واليهودية التى شغلت الرأى العام المصرى طوال العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات وهى الاتحاد الإسرائيلى وإسرائيل والشمس والتسعيرة والكليم والصراحة.

وعند متابعة الصحف الصهيونية ومحاولة رصد وقياس مواقفها إزاء الحكومات المصرية نلاحظ أن هناك إجماعاً من جانب هذه الصحف على تأييد الوفد والإشادة بمواقفه ومتابعة نشاطاته وأخباره، مثلاً عيد الجهاد الوطنى الذى كان يقام له احتفال وطنى ضخم فى ١٣ نوفمبر من كل عام لم تكن تخلو صحيفة صهيونية من الإشارة إليه وتغطيته خبرياً والتعليق عليه[١] ذلك عندما وقعت الأزمة الدستورية فى مصر فى يونيو ١٩٣٠. التى انتهت باستقالة وزارة النحاس باشا. دافعت صحيفة «إسرائيل» عن الوفد وألقت المسئولية على بريطانيا متهمة إياها بالتدخل فى تصعيد الأزمة، وطالبت المصريين بضرورة تغيير سياستهم مع بريطانيا ومحاولة الاقتداء بالهند من أجل الحصول على حقوقهم كاملة، وخصوصاً بعد أن ثبت فشل سياسة اللين وحسن التفهم مع بريطانيا[٢].

وبعد مجيء الوزارة الصدقية التى خلفت وزارة مصطفى النحاس فوجئ بأن صحيفة «إسرائيل» قد بدأت تدريجيّاً فى تغيير موقفها من الوفد ونقل ولائها إلى الحكومة الجديدة - وقد برز موقفها الجديد فى محاولة الدفاع التى قامت بها لتبرر الإجراء الدكتاتورى الذى اتخذه إسماعيل صدقى بتعطيل الحياة النيابية ومصادرة دستور ١٩٢٣.

وبالمثل فعلت صحيفة الشمس حينما هللت للوزارة الجديدة التى شكلت برئاسة توفيق نسيم باشا فى نهاية عام ١٩٣٤ وأعربت عن فرحتها بقولها إن الأمة قد طال انتظارها لحكومة تمثل الأغلبية بعد أن سادت

(١) انظر الاتحاد الإسرائيلى ١٩٢٦/١١/١٦، إسرائيل ١٩٣٠/١١/١٥ والشمس ١٩٣٥/١١/١٩.
(٢) إسرائيل ١٩٣٠/٦/٢٧.

حكومات الأقلية زمناً طويلاً)[1].

كذلك استقبلت «الشمس» الوزارة الجديدة التى قام بتشكيلها مصطفى النحاس فى مايو ١٩٣٦. إذ أعربت عن الفرحة الغامرة التى استقبلت بها الأمة الوزارة الجديدة مشيرة إلى أن الوزارة الجديدة ستعنى بحالة الفلاح وترقية مصادر البلاد والسعى للوصول إلى حل شريف للمسألة المصرية يضمن لمصر استقلالها ويصون مصالح بريطانيا. ومن الخطأ أن يتوهم الإنجليز أن هناك وزارة أقدر من هذه الوزارة على تمثيل الشعب تمثيلاً صحيحاً[2].

وبالمثل عندما أسند إلى على ماهر رئيس الحزب السعدى تأليف الوزارة الجديد عام ١٩٣٩ اشادت «الشمس» بشخصية رئيس الحكومة الجديد وأبدت إعجابها الشديد بمشروعاته الإصلاحية ورغبته فى تقوية الجيش.

أما صحيفة التسعيرة فقد أعلنت انتماءها للوفد منذ العدد الأول كما سبق أن أشرنا، وقدمت نفسها للرأى العام المصرى كصحيفة وفدية، فكانت تتابع تحركات الزعيم مصطفى النحاس وتحاول تسليط الأضواء على مشروعات الوفد وأنشطته المختلفة. وقد التزمت «التسعيرة» بتلك السياسة طالما كان الوفد فى السلطة، وعندما خرج الوفد من الحكم سنة ١٩٤٤ سرعان ما انقلبت عليه وشاركت الأحزاب الأخرى فى الهجوم عليه. بل وتردت فى الحملات العدائية التى حاولت تشويه الزعامات الوفدية من الناحية الشخصية. وسارعت التسعيرة إلى تقديم فروض الولاء والطاعة لحكومة أحمد ماهر باشا وأضفت عليه كل الصفات الإيجابية التى كانت تطلقها على النحاس باشا من قبل، والتزمت بهذا الموقف الانتهازى حتى حانت عودة الوفد للسلطة مرة أخرى سنة ١٩٤٩، وهنا نفاجأ بموقف تلك

(١) الشمس ١٦/١١/١٩٣٤.

(٢) انظر الشمس ١٤/٥/١٩٣٦، ٢٦/٥/١٩٣٩.

الصحيفة الذى يتسم بقدر كبير من الجرأة والصفاقة، إذ عادت إلى الدفاع عن الوفد، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أصدرت صحيفة وفدية اسمها الصراحة.

وعندما نحاول استعراض موقف الصحافة اليهودية من الزعامات الوطنية والسياسية فى مصر نلاحظ أنها جرياً على عادتها دأبت على انتهاز الزعماء، كذلك كان موقفها من السراى والملك. وعندما توفى سعد زغلول خرجت معظم الصحف الصهيونية فى مصر (الاتحاد الإسرائيلى وإسرائيل) متشحة بالسواد، وقد خصصت افتتاحيتها ومعظم صفحاتها للإشادة بالزعيم الوطنى وتاريخه النضالى ضد الاستعمار البريطانى علاوة على إظهار مشاعر الأسى والحسرة لفقده فى تلك المرحلة الهامة من تاريخ مصر الوطنى(١).

وعندما توفى الملك فؤاد الأول ١٩٣٦ أعلنت صحيفة «الشمس» الحداد وخصصت صفحة كاملة لهذا الحدث. وبعد أن تولى الملك فاروق العرش كتبت الصحف الصهيونية عن مشاركة الطائفة اليهودية فى الاحتفال الذى أقيم بهذه المناسبة. كما نشرت صحيفة الشمس صورة كبيرة للملك فاروق تتوسط الصفحة الأولى وخصصت الافتتاحية للحديث عن هذه المناسبة. وعندما تزوج الملك فاروق نشرت الشمس أن يهود مصر قدموا هدية ثمينة لجلالة الملك للإعراب عن فرحتهم بهذه المناسبة وتعلقهم بمليكهم المفدى. هذا عدا الصفحات التى خصصتها الصحيفة لنشر تهانى الشعراء والكتاب اليهود لصاحب الجلالة(٢).

وفى عام ١٩٤٨ شاركت صحيفة الشمس فى الاحتفال بذكرى الزعيم مصطفى كامل فأشادت به وبدوره العظيم فى الحركة الوطنية المصرية

(١) الاتحاد الإسرائيلى ١٩٢٧/٩/٩ سعد قضية مصر والشرق إسرائيل ١٩٢٧/٩/٢٠.

(٢) الشمس ١٩٣٦/٤/٣٠، ١٩٣٧/١/٢٩.

وحرصت على إبراز الدور الذى قام به بعض اليهود المصريين فى مساندة وتأييد مصطفى كامل أثناء نضاله ضد الاحتلال البريطانى[1].

ثانياً: المثقفون المصريون والصهيونية

سبق أن أوضحنا النجاح الذى أحرزته الدوائر الصهيونية فى مصر فى اجتذاب اهتمام وتعاطف القيادات الفكرية والثقافية فى مصر وذلك من خلال عدة أساليب ومحاولات انتهى معظمها بضمان تحييد فئة المثقفين المصريين وخصوصاً هؤلاء الذين ينتمون إلى التيار القومى المصرى ويؤمنون بانتماء مصر إلى الحضارة المتوسطية. ويهمنا فى هذا الصدد أن نشير إلى حادثين هامين تجسدت فيهما مشاركة المثقفين المصريين للدوائر الصهيونية نتيجة تأثرهم بالدعاية الصهيونية التى استغلت جميع المداخل الدينية والعلمانية للنفاذ إلى العقل المصرى مستهدفة السيطرة عليه وكسبه إلى جانبها. والحدث الأول هو اشتراك مصر فى الاحتفال بافتتاح الجامعة العبرية سنة ١٩٢٥ بإيفاد الأستاذ لطفى السيد مدير الجامعة المصرية مندوباً رسمياً عنها وقد أثار اشتراك مصر فى افتتاح تلك الجامعة الصهيونية عاصفة من الاحتجاج من جانب الفلسطينيين عبرت عنها الصحف الوطنية فى فلسطين وكثير من القيادات الوطنية[2].

وقد حاول لطفى السيد استدراك الأمر فقام بزيارة للمعاهد الإسلامية كما أصدر بياناً رسمياً أعلن فيه الظروف والملابسات الدقيقة التى أحاطت بمهمته فى القدس خصوصاً وأن الدعوة صادرة من معهد علمى من المفروض انعدام صلته بالسياسة كما هو شأن الجامعات العلمية. ولكنه أبدى ارتيابه من المبالغة التى أحيط بها الاحتفال بافتتاح

(١) الشمس ١٩٤٨/٣/٢٦.

(٢) المقطم ١٩٢٥/٣/٣١.

الجامعة العبرية مما ينطوى على الترويج للدعوة الصهيونية. مما أكد له ذلك ما نما إلى علمه من أن لغة لجامعة هى اللغة العبرية. ولذلك امتنع عن إلقاء كلمته فى الاحتفال حتى لا يفهم منها تأييد مصر للعنصر الصهيونى وتفضيله على العنصر العربى فى فلسطين[1].

والواقع أن الدعوة لحضور احتفالات الجامعة العبرية لم تقتصر على الجامعة المصرية فحسب بل وجهت دعوة مماثلة إلى الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية سابقاً وكذلك الدكتور أحمد زكى باشا فأهملاها ولم يردا عليها. وقد ذهب فريق من اليهود المصريين إلى الشيخ بخيت ورجوه باسم العلم أن يحضر تلك الحفلة فاعتذر بكبر السن ومشقة السفر فألحوا عليه وعرضوا عليه تسهيلات كبيرة فى السفر فلما ضاق بهم ذرعا أوضح لهم بأنه لا يستطيع أن يحضر احتفالا يسىء إلى أهل فلسطين الذين هم فى حالة حداد بسبب هذه الجامعة[2].

وقد استغلت الدوائر الصهيونية حضور لطفى السيد لحفل افتتاح الجامعة العبرية من الناحية الدعائية الى مدى بعيد. وشاركتها فى ذلك وكالات الانباء الأوربية والصحف والإذاعات. حتى إن وكالة رويتر لم تذكر من أسماء من حضروا ذلك الحفل إلا اسم لطفى السيد. كذلك علقت صحيفة بالستين ويكلى الصهيونية على ذلك بقولها «إن حضور مندوب مصر هذه الحفلة كان دليلا على أن مصر بأكملها لا ترى فى الصهيونية رأى أهل فلسطين كما أشاد اليهود المصريون باشتراك مصر فى افتتاح جامعتهم بالقدس. وقد نوه يوسف بوتو عضو مجلس الشيوخ المصرى واحد اليهود المصريين الذين شاركوا فى احتفالات الجامعة العبرية بعطف الحكومة المصرية على القضية الصهيونية. واستشهد على ذلك بإرسالها

(١) كوكب الشرق ٥ / ٥ / ١٩٢٥ لطفى السيد يدفع ثمن.

(٢) الشورى ١ / ٥ / ١٩٢٥

صاحب العزة أحمد لطفى السيد مندوباً عن الجامعة المصرية[1].

أما الحدث الثانى فهو يتعلق بمجلة الكاتب المصرى التى تقدم أقوى دليل على المحاولات الصهيونية للسيطرة على أكبر عدد من النخبة المثقفة المصرية فقد أسندت رئاسة تحريرها إلى طه حسين الذى حشد إلى جانبه عددا كبيرا من ألمع الكتاب والمثقفين المصريين. وقد لعبت هذه المجلة دوراً خطيراً فى الدعاية غير المباشرة للحركة الصهيونية وذلك من خلال موقف التجاهل المتعمد والمعالجات السطحية المحدودة للصراع الفلسطينى الصهيونى، وقد يكون من عدم الإنصاف أن نسجل لهذه المجلة تورطها المباشر فى الدعاية للأهداف الصهيونية أو كشف حقيقتها أو تحديد موقف واضح للمجلة من الحركة الوطنية الفلسطينية خصوصاً وأن الصراع الصهيونى الفلسطينى كان فى ذلك الوقت (الأربعينيات) فى ذروة اشتعاله، ولكن مما يجدر الإشارة إليه أن الدكتور طه حسين قد عرض رؤية المجلة إزاء الصراع الفلسطينى الصهيونى من خلال إحدى مقالاته الافتتاحية[2] التى تناول فيها وصفاً مفصلاً لرحلته من القاهرة إلى بيروت حيث أشار إلى وجود بعض المهاجرين اليهود على ظهر السفينة التى أقلته وقد كانوا قادمين من اوروبا فى طريقهم إلى حيفا، ورغم الإحساس بالتعاطف الشديد الذى أبداه طه حسين إزاء هؤلاء المهاجرين اليهود، فقد أشار إلى أنهم سوف يقيمون فى وطن ليس وطنهم، كما أن أهل فلسطين لم يستشاروا ولم يستأمروا فى إيواء هؤلاء البائسين، على أنه من الغريب أن طه حسين رغم وضوح هذه الرؤية لديه، فانه لم يطرح الحل الصحيح للمشكلة، واكتفى فقط بقوله (ولكن فى الارض أوطاناً كثيرة اقدر على إيوائهم من فلسطين) ولم يعلن بوضوح وتحديد عن موقفه

(١) المقطم ١٥/٤/١٩٣٥.

(٢) الكاتب المصرى يونو ١٩٤٦.

من الهجرة اليهودية إلى فلسطين رغم إشارته المتضمنة إلى إجبار الشعب الفلسطينى على قبول هؤلاء المهاجرين فى أرضهم(١).

ثالثاً: الصحافة المصرية والصهيونية

تباينت العلاقة بين الصحف الصهيونية والصحافة المصرية طبقاً للمواقف التى كانت تتبناها الأخيرة إزاء الحركة الصهيونية فى مصر من ناحية والصراع الفلسطينى الصهيونى من ناحية أخرى. وقد تفاوتت درجات التقارب والعداء فهناك بعض الصحف المصرية قدمت مساندة كاملة للصحافة الصهيونية فى مصر وصلت إلى المستوى الذى لا يستطيع أن نفرق من خلاله بين ما تطرحه الصحف المصرية وتلك الصحف الصهيونية خصوصاً فى وجهات النظر المؤيدة للجانب الصهيونى فى صراعه ضد الشعب لعربى فى فلسطين، ونذكر فى هذه المناسبة المقطم اللسان الناطق باسم الاحتلال البريطانى فى مصر. وقد قامت المقطم بدور رئيسى فى الدعوة والترويج للفكر الصهيونى طوال الفترة السابقة على صدور صحف صهيونية فى مصر. وحتى بعد أن قام ليون كاسترو بإصدار أول صحيفة صهيونية تعبر عن المنظمة الصهيونية العالمية ١٩١٨ وهى المجلة الصهيونية، ظلت المقطم تواصل دورها فى خدمة الحركة الصهيونية بأساليب متعددة سبق أن أشرنا إليها. وكذلك صحيفة السياسة لسان حال الأحرار الدستوريين فقد كانت تروج للدعوة إلى التفاهم بين العرب واليهود وترى أن حل المشكلة الفلسطينية يكمن فى تحقيق هذا التفاهم من أجل إقامة الوطن المشترك. وقد كان لهذه النغمة صدى مقبولاً لدى الدوائر الصهيونية عبرت عنه صحيفة هارتس الصهيونية التى أرسلت ردًا نشرته صحيفة السياسة فى عددها فى ٢٨ سبتمبر ١٩٢٩ إذ أكدت أسفها الشديد لأنها لأول مرة فقط تسمع صوتاً مستنيراً فى العالم

(١) الكاتب المصرى يونيو ١٩٤٦. انظر الملحق رقم (٦) ج.

الإسلامى يشجب سياسة العنف التى يسلكها الشعب الفلسطينى لتحقيق أمانيه[١]. وكانت صحيفة السياسة قد نشرت مقالاً لعبد الله عنان فى عددها الأسبوعى استنكر فيه أسلوب العنف الذى لجأ إليه الشعب الفلسطينى فى أحداث البراق ١٩٢٩.

وقد تبنى الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير صحيفة السياسة دعوة التفاهم بين العرب واليهود، فدعا إلى تأليف لجنة يهودية عربية تضطلع بهذا العبء. إذ كان يرى أن حل المشكلة الفلسطينية لا يكون إلا بين العرب واليهود ولا ينتظر من الدولة الإنجليزية أو عصبة الأمم أن تتوسط لهذا التفاهم لأنه يلوى عليها مقاعدها الاستعمارية[٢].

وقد أشادت صحيفة إسرائيل صوت الحركة الصهيونية فى مصر بمقال الدكتور هيكل باعتباره (خير ما كتب إلى الآن باللغة العربية بأسلوب بريء من الهوى ومليء بروح الإخلاص والصراحة فى مشكلة فلسطين)[٣].

كما قامت صحيفة السياسة باستعداء السلطات ضد الفلسطينيين المقيمين فى مصر مهددة إياهم بالطرد وقد وجهت إليهم تهمة إثارة الطائفية فى مصر بسبب النشاط الدعائى الذى كانوا يقومون به لتزويد الرأى العام المصرى بالمعلومات والحقائق عن أحداث البراق[٤].

ولم تنس «السياسة» أن تشيد باليهود المصريين وتؤكد اعتزاز مصر بوجود هذا العنصر الذكى العامل بين عناصرها[٥].

وتعد صحيفة الاتحاد من أبرز الصحف التى كانت تربطها بالصحافة

(١) السياسة الاسبوعية ١٩٣٠/٦/٢٤.

(٢) الحساب ١٩٢٥/٤/١٠.

(٣) إسرائيل ١٩٣٠/٦/٢٧.

(٤) السياسة ١٩٢٩/٩/١.

(٥) المصدر السابق.

الصهيونية علاقة تفاهم ومودة. وتجسد صحيفة الاتحاد موقف السراى من الصراع الصهيونى الفلسطينى خلال فترة العشرينيات والثلاثينات. وقد أبدت «الاتحاد» اهتماماً متزايداً بمتابعة أحوال اليهود فى مصر والدول العربية. وكانت تركز على حوادث الاضطهاد التى تعرض لها اليهود فى روسيا وألمانيا[1].

وكانت ترى أن حياة فلسطين قد بلغت من الازدهار والقوة خلال السنوات التى تدفقت فيها الهجرة اليهودية مصحوبة برؤوس الأموال مما لا يمكن إغفاله. وأنه من الخطأ البين الاعتقاد بأن فلسطين أصبحت مأوى للفقراء والمشردين. ولذلك فإن إنشاء الوطن القومى فى فلسطين يعد فاتحة عهد جديد فيها وسيكون هذا العهد حافلاً بالعجائب والمدهشات[2].

هذاوقد كان يوجد بجانب الصحف المصرية المتعاطفة مع الصهيونية مثل المقطم والسياسة والاتحاد واشعب بعض الصحف ذات الاتجاه المعتدل مثل الأهرام. وقد حظيت هذه الصحف سواء الموالية للصهيونية أو المعتدلة بعناية واهتمام الصحافة الصهيونية فى مصر، بينما تعرضت الصحف الوطنية ذات الاتجاه المعادى للصهيونية مثل البلاغ وكوكب الشرق والمصرى والإخوان المسلمين والصرخة ومصر لفتاة الاشتراكية وصوت الأمة للهجوم الشديد من جانب الصحافة الصهيونية. كما عمدت الدوائر الصهيونية فى مصر إلى ممارسة شتى أشكال لضغوط الاقتصادية والمهنية للتأثير على اتجاهاتها العدائية للصهيونية. ويمكننا أن نحصر أهم الأساليب التى لجأت إليها الحركة الصهيونية للضغط على الصحف الوطنية فى مصر:

١ ـ التسلل داخل هذه الصحف ومحاولة السيطرة على المراكز الحساسة بداخلها.

٢ ـ استخدام الإعلانات كوسيلة ضغط.

(١) الاتحاد ١٩٣٣/٤/٢٣، ١٩٣٣/٨/٢، ١٩٣٤/١١/٢٠، ١٩٣٤/١٢/٢٤.

(٢) الاتحاد ١٩٢٥/٥/١١.

٣ ـ تشويه الصحف الوطنية واتهامها بالعمالة.

وفيما يتعلق بالأسلوب الأول فقد وجدت العناصر الصهيونية أن هناك بعض الصحف المصرية التى لا يمكن التأثير على مواقفها إزاء الحركة الصهيونية والصراع الفلسطينى الصهيونى إلا باختراقها من الداخل والتغلغل فيها بحيث يتمكنون بعد فترة وجيزة من تبوا المراكز الحساسة داخل هذه الصحف، ومن ثم تسهل عليهم توجيهها لمصالحهم. وقد كانت وظيفة مدير الإعلانات هى لمنصب الحساس الذى يتيح لهم التحكم فى جزء هام من موارد الصحف الاقتصادية ولذلك حرصوا على الاستئثار به فى معظم الصحف المصرية. فلاحظ أن دار الهلال كان البير انكونا اليهودى يشغل منصب مدير الإعلانات بها، كذلك الأهرام كان مدير إعلاناتها يهودياً أسبانيا يدعى إيخمان وفى صحيفة الأساس كان يرأس قسم الإعلانات يهودى يدعى كوهين[1] يضاف إلى هذا سيطرة اليهود على أكبر دار لنشر الصحف الأجنبية فى مصر وهى الشركة الشرقية للإعلانات التى كانت تصدر صحيفتين ناطقتين بالإنجليزية هما إجيبشيان جازيت، إجيبشيان ميل وكذلك البروجريه والبورص الناطقتان بالفرنسية. هذا علاوة على تغلغل اليهود فى سائر المناصب الصحفية كمراسلين لبعض الصحف والاذاعة المصرية.

ثانياً: أسلوب الإعلانات والمصاريف السرية

لقد حاولت الدوائر الصهيونية التأثير على الصحف المصرية من خلال سيطرتها على وكالات الإعلان واستخدام هذا السلاح فى فرض وجهة نظرها على بعض الصحف او على الأقل ضمان حيادها إزاء الصراع الصهيونى الفلسطينى. وقد كانت الصحف المصرية تخضع لمراجعة دقيقة من جانب الدوائر الصهيونية وفى حالة نشر أية معلومة او

(١) سهام عبد الرازق ـ مصدر سابق ص ٢٦٣.

رأى يحمل شبه الهجوم على الصهيونية أو أطماعها فى فلسطين كانت هذه الصحف تتعرض لسلسلة من الضغوط من جانب وكالات الإعلان اليهودية تنتهى بحرمانها من جزء كبير من الإعلانات الخاصة بالمتاجر والبضائع اليهودية فى حالة إذا لم تستجب تلك الصحف للإنذارات التى تبعثها إليها الدوائر اليهودية محذرة إياها من التمادى فى ذلك الطريق الوعر أى الاستمرار فى الهجوم على الصهيونية.

وقد قامت صحيفة مصر الفتاة بكشف هذه الأساليب فى سلسلة من الموضوعات.

وبجانب سلاح الإعلانات الذى برعت الدوائر الصهيونية فى استخدامه كوسيلة للترغيب والترهيب ضد الصحف الوطنية فى مصر، لجأت هذه الدوائر أيضاً إلى سلاح آخر هو الاشتراكات بمبالغ ضخمة وهو ما يمكن اعتباره رشوة مقنعة كمحاولة لصرف هذه الصحف عن مهاجمة اليهود والصهيونية. وقد تزعمت شركة الإعلانات الشرقية القيام بهذا الدور إذ كان يرأسها هنرى حاييم اليهودى، كما كان يعمل معه جهاز كامل من اليهود الذين كانوا مجندين لخدمة الحركة الصهيونية فى المجال الإعلامى. وقد أشارت صحيفة التسعيرة إلى ذلك عندما كشفت عن علاقة هنرى حاييم بعصابة شتيرن فى فلسطين، حيث قام بتصدير كميات من السكر والأرز إلى هذه العصابة عام ١٩٤٥. فى الوقت الذى كانت فيه البلاد تعانى من أزمة طاحنة فى هذه المواد. وقد تحدثت الصحيفة بنشر إذن التصدير فى حالة إذا ما حاول حاييم إنكار ذلك[١].

كذلك استطاعت شركة الإعلانات الشرقية من خلال تحكمها فى تجارة الورق أن تستخدم هذا السلاح فى الضغط على الصحف المصرية خصوصاً أثناء الحرب العالمية الثانية، فقد كانت تمنح الصحف المصرية

(١) التسعيرة ١٢ ـ ١١ ـ ١٩٤٥.

الموالية لها أولوية الحصول على حاجتها من الورق، مثلما حدث مع صحيفة الشمس الصهيونية ومجلة الكاتب المصرى التى كان يرأس تحريرها طه حسين. إذ أنهما حصلا على حاجتهما من الورق رغم صدور القانون الذى يحرم بيع ورق الصحف والاتجار فيه ويعفى وزارة التموين من مسئولية توفير الورق للصحف الجديدة... ولكن مجلة الكاتب المصرى التى صدرت بعد هذا القانون استطاعت أن تحصل على الورق عن طريق شركة الإعلانات الشرقية(١).

وعلاوة على كل ما سبق لم تتوان الدوائر الصهيونية عن محاولة تقديم رشاو سافرة لبعض الصحف المصرية على شكل مصاريف سرية. ويبرز فى هذا الصدد تجربتها مع صحيفة مصر الفتاة عندما شنت سنة ١٩٣٩ حملة شعواء على اليهود المصريين بسبب نشاطهم الصهيونى.

ثالثاً: تشويه الصحف الوطنية فى مصر

دأبت الدوائر اليهودية والصهيونية فى مصر على متابعة كل ما ينشر فى الصحف المصرية مما له علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالصهيونية أو بالقضية الفلسطينية، وكانت تقوم بالرد فوراً سواء بالمدح أو التصحيح وذلك بالنسبة للصحف المتعاطفة مع الصهيونية. أما الصحف الوطنية أو التى كانت ذات اتجاهات عربية وإسلامية فقد كان العداء سافراً بينها وبين الصحف الصهيونية. وفى تلك الصحف المصرية مستخدمة مختلف الأساليب التى تصل إلى أدنى مستويات التعامل الثقافى والأخلاقى، بل ومحاولة استعداء السلطات ضد الصحف والصحفيين الوطنيين متهمة إياهم بالعمل على إثارة الفتنة الطائفية وتمزيق الوحدة الوطنية والإضرار بالقضية المصرية(٢).

(١) التسعيرة ١٩٤٥/١١/٢٤ نقلاً عن سهام عبد الرازق مصدر سابق ص ٢٥٧.

(٢) الشمس ١٩٣٩/٧/٧.

ولقد تولت صحيفة "الشمس الصهيونية مسئولية الهجوم على الصحف الوطنية وتشويه صورة الصحفيين المصريين، ولقد استخدمت الشمس عدة أساليب فى مقاومتها للدعاية المضادة للصهيونية فى مصر منها على سبيل المثال حث أبناء الطائفة على عدم السكوت إزاء الهجمات التى كانت تشنها الصحف الوطنية ضد اليهود والعمل على التصدى لهذه الطعنات بتكريس مزيد من الجهد لبناء الذات ونشر الوعى بين الجماهير المصرية من خلال إلقاء المحاضرات ونشر الدراسات والبحوث التاريخية الخاصة باليهود وإظهار فضل اليهود المصريين. بل طالبت الشمس بإنشاء مكتب استعلامات ينطق باسم اليهود يتولى تصحيح الأخطاء ونفى التهم التى توجه لليهود المصريين وكانت هذه الصحيفة تلح فى المطالبة بإنشاء صحيفة يومية كبيرة للدفاع عن اليهود وذلك بعد أن اشتدت حملة الصحف الوطنية على النشاط الصهيونى. وخصوصاً تلك الصحف التى لم تعبأ بالتهديدات أو الإغراءات الصهيونية. وقد استغلت صحيفة الشمس مسألة الوحدة الوطنية وضرورة المحافظة عليها فشنت عدة حملات تدور حول أهمية حماية البلاد من النغمة العنصرية التى قد تؤدى إلى ذات العواقب الوخيمة التى ترتبت على سياسة هتلر الخاطئة. وقد طالبت الشمس باستخدام مادة جديدة فى التشريع المصرى تمنع التحريض حرصاً على صيانة الوحدة الوطنية.

وقد استجابت بعض الهيئات المصرية لهذا المطلب وخصوصاً الإذاعة المصرية التى أصدرت قراراً بعدم السماح بإذاعة أخبار أو أحاديث تتصل بالتحريض الدينى أو تأليب طائفة على أخرى أو مهاجمة طائفة من الطوائف التى يتكون منها الشعب المصرى.

(١) الشمس ١٩٤٧/٦/٣.

(٢) الشمس ١٩٤٨/٣/٥.

رابعاً: الصحافة الصهيونية والقضية الوطنية المصرية

يتحدد موقف الصحف الصهيونية من القضية الوطنية فى مصر من خلال انضوائها منذ البداية تحت مظلة الوفد الذى كان يمثل قيادة الحركة الوطنية المصرية. وقد حاولت الصحافة الصهيونية أن تنهج نهجاً مسانداً للحركة الوطنية المصرية فى نضالها ضد الاستعمار البريطانى. وذلك حرصاً على كسب الرأى العام المصرى من ناحية ومن أجل ضمان مساندة الحكومات الوطنية فى مصر من ناحية أخرى.

ويبدو الاختلاف واضحاً فى موقف كل من صحيفتى إسرائيل والشمس إزاء السياسة البريطانية فى مصر. فقد دأبت «إسرائيل» على تحريض المصريين على الثورة ضد بريطانيا والبحث عن وسيلة أخرى غير المفاوضات وسياسة حسن التفاهم التى تتبعها مصر مع إنجلترا، وخصوصاً بعد أن ثبت بشكل قاطع الدور التخريبى الذى تقوم به بريطانيا فى إفساد الحياة الدستورية التى وقعت فى مصر فى يونيو ١٩٣٠[١].

هذا بينما لم تتوقف صحيفة الشمس عن حث الحركة الوطنية المصرية ممثلة فى الوفد على التفاهم مع بريطانيا من أجل التوصل إلى اتفاق يحقق لمصر استقلالها ويصون لإنجلترا مصالحها[٢]. وقد واصلت «الشمس» هذا الموقف عندما لاحت نذر الحرب العالمية الثانية، حيث اهتمت بالتأكيد على الروح الودية التى تربط الجيشين المصرى والبريطانى والمهمة المقدسة التى سيقومان بها للدفاع عن كنانة الله أى مصر. وقد أشارت «الشمس» إلى أن مصر الديمواقراطية تعطف على قضية بريطانيا العظمى ودفاعها عن الحق والحرية إذا كان البريطانيون يهمهم سلامة مصر وبقاء استقلالها غير مقيد بقيود أجنبية مناوئة لهم

(١) إسرائيل ٦/٣٠/ ١٩٣٠.

(٢) الشمس ٢/١ ١٩٣٥.

نظراً لأهمية موقع مصر فى مواصلاتها الإمبراطورية، فالمصريون هم أكثر رغبة من الإنجليز فى الدفاع عن بلادهم، وهم يقدرون العمل الجليل الذى تقوم به بريطانيا للدفاع عن مصر[١].

ويبرز موقف الصحف الصهيونية من الحركة الوطنية المصرية من خلال حدثين هامين:

أوهما: معاهدة ١٩٣٦.

وثانيهما: حادث ٤ فبراير ١٩٤٢.

هذا وقد لعبت صحيفة الشمس الدور الأساسى فى التعبير عن وجهة نظر الصحافة الصهيونية تجاه هذين الحدثين الهامين.

ففيما يتعلق بالحدث الأول قامت الشمس بالتمهيد لعقد معاهدة ١٩٣٦، وكانت حريصة طوال الوقت على تضييق شقة الخلاف والتركيز على نقاط الالتقاء وحث كل من الوفد والحكومة البريطانية على المزيد من الاقتراب والتفهم من أجل التوصل إلى هذا الاتفاق الذى كانت الشمس ترى أنه سوف يضمن لمصر استقلالها ولبريطانيا مصالحها[٢].

وكانت دائماً تشير إلى أهمية تسوية المسائل المعلقة التى نص عليها تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ والتى يطلق عليها التحفظات الأربعة[٣]. كما أشارت الشمس فى بعض افتتاحياتها إلى ما تتطلبه المفاوضات من مناخ يسوده الود والصفاء، وأشادت بموقف الصحف المصرية التى قدرت الموقف وتناست خلافاتها الحزبية بينما لم يحدث ذلك بالنسبة لبعض الصحف الإنجليزية التى لا يرد فيها تحالف مصر وإنجلترا. ولذلك راحت

(١) الشمس ٥ يوليو ١٩٤٠.

(٢) الشمس ١٩٣٦/٢/٦.

(٣) الشمس ١٩٣٦/١/٩.

تعكر الجو وتدعو إلى الانتقاص من حقوق المصريين[1]. وهنا ترد عليها «الشمس» قائلة: نقول للصحف الإنجليزية المتخذة لموقف المتشائم من المفاوضات ان إجابة مطالب المصريين ليس من مصلحة مصر فحسب بل هو أيضاً من مصلحة إنجلترا[2].

ولكن من الغريب أن «الشمس» رغم تأييدها الواضح للتفاهم المصرى البريطانى وتشجيعها لهما على توقيع المعاهدة لم يمنعها ذلك من التشكيك فى الدعوة الاستعمارية عندما بدأ الموقف يتسع ويشمل دعوة إنجلترا للأحزاب العربية فى فلسطين للتفاوض معها.

هنا بدأت «الشمس» تثير الشكوك حول السياسة البريطانية ووعودها بعد أن كانت تلح فى تأييدها وتشجيعها. وعندما تم توقيع المعاهدة خصصت «الشمس» عدة افتتاحيات للتعبير عن فرحتها وآمالها والإشادة بموقف الوفد والحكومة البريطانية.

وقد كتبت يوم توقيع المعاهدة تقول «إنه ليوم آخر جدير بأنه يسطر بمداد من التبر فى تاريخ مصر الحديث ذلك اليوم الذى تم فيه توقيع المعاهدة بين مصر وإنجلترا - إن مصر قد فازت بحريتها واستقلالها على يد زعيمها الأوحد الرئيس الجليل مصطفى النحاس رجل المعاهدة»[3].

وجندت الشمس نفسها للدفاع عن موقف الوفد ضد الأصوات التى ارتفعت تهاجم المعاهدة وتبين نقائصها وخصوصاً الحزب الوطنى. وطالبت الشمس هؤلاء المعارضين بأن يميزوا بين معارضة المعاهدة ومعارضة الوفد: «لأن الوفد جاهد جهاد الأبطال الصناديد واستهدف لأخطار من أجل استقلال البلاد ولا يعقل أن يفرط فى الأمانة التى تألف من أجلها

(١) الشمس ١٩٣٦/٢/٢٧.

(٢) الشمس ١٩٣٦/٢/٢٧.

(٣) الشمس ١٩٢٦/٨/٢٧ .

والمعاهدة ليست وثيقة استعباد ولكنها معاهدة استقلال مصر باعتراف بريطانيا [1].

وظلت «الشمس تتابع مراحل التصديق على المعاهدة فى البرلمان وخطاب العرش بعد توقيع المعاهدة فأشارت إلى موافقة مجلس النواب والشيوخ على المعاهدة بأغلبية عظيمة مع التنويه بأن له يقل أحد أن توقيع المعاهدة معناها وقف الجهود السياسية عند هذا الحد بل ستواصل الحكومة سعيها حتى تستكمل حقوق البلاد[2].

ما الحدث الثانى فهو حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وقد أشادت الشمس بموقف الوفد وأشارت فى إحدى مقالاتها الافتتاحية - إلى مظاهر الفرح والابتهاج التى تجلت فى المظاهرات الشعبية التى سارت فى معظم شوارع العاصمة تهتف بحياة النحاس وتشكر الملك على دعوته رئيس الوفد لتاليف حكومته الجديدة[3].

ولم تكتف صحيفة الشمس بذلك بل عاودت الكتابة فى الموضوع مع اغداق الثناء والمدح للنحاس باشا موضحة الدور العظيم الذى قام به إنقاذا للبلاد فى تلك الفترة الحرجة «وقد تمكن بحزمه وسهره على الأمن من حماية البلاد من الأشرار ومعتادى الإجرام وهكذا دلل أنه الرجل الذى تركن إليه البلاد فى وقت الأزمات. عاش مصطفى زعيماً لمصر رمزاً لنهضتها [4].

وعندما بدأت الظروف السياسية فى مصر تطرح بإلحاح أهمية بل وضرورة إلغاء معاهدة ١٩٣٦ نجد الصحافة اليهودية تتبنى موقف الإلغاء

(١) الشمس ١٤/٩/١٩٣٦ .

(٢) انظر الشمس ١٩/١١/١٩٣٦، ٢٦/١١/١٩٣٦.

(٣) الشمس ١٢ فبراير ١٩٤٢ .

(٤) الشمس ٢٧/٧/١٩٤٢.

انطلاقاً من تأييدها للوفد.

تكتب صحيفة الصراحة مدافعة عن موقف الوفد فتقول «إن بلاد الوادى تؤيد الزعيم على طول الخط وتثق بحكومته الشعبية الثقة التامة مقدرة ماضيه الحافل بالجهاد فى سبيل قضية مصر - ولا يضير البلاد أن يتخير رفعته الظروف لاقتناص الفرصة».

وتدعو «الصراحة» المعارضة إلى الوقوف بجانب حكومة الوفد وتأييدها لإلغاء المعاهدة فتقول: على المعارضين أن يقفوا مع إجماع الأمة.. اقبلوا أيها المعارضون على صفوف الوطنيين من أهل البلاد خاصة وإنكم تعلمون أن الحكومة لن تحيد عن مبدأ سعد[1].

وتتبرى «الصراحة» للدفاع عن وجهة نظر الوفد فتكتب رداً على خطاب بيفن وزير خارجية بريطانيا الذى أشار فيه إلى استعداد بريطانيا للمفاوضة مع مصر على أساس المساواة التامة. وأعلن فيه تمسك بريطانيا ببقاء قواتها العسكرية فى مصر والسودان فى حالة إلغاء المعاهدة، وترد صحيفة الصراحة مؤكدة أن المعاهدة أصبحت ملغاة من تلقاء نفسها طبقاً لميثاق الأمم المتحدة وتشير إلى أن «بقاء القوات البريطانية فى الأراضى المصرية سوف تحيل المصريين والشرقيين الى أعداء ألداء لبريطانيا فيصبح الجيش البريطانى لا لدفع أعداء بريطانيا بل سبباً لخلق عداوات فى شتى مناطق الشرق الأوسط»[2].

(١) الصراحة: ١٤ - ١١ - ١٩٥٠.

(٢) الصراحة: ٢١ - ١١ - ١٩٥٠.

مثال تطبيقى

موقف الصحف اليهودية والصهيونية من القضية الوطنية المصرية ـ دراسة تحليل مضمون لافتتاحيات الصحف اليهودية:

وحرصاً على الوصول إلى تحديد أكثر دقة لمواقف الصحف اليهودية والصهيونية من القضية الوطنية المصرية قمنا بمحاولة استشكافية لتحليل مضمون افتتاحيات الصحف اليهودية فى مصر خلال العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات، وقد تم اختيار عينة للصحف اليهودية على النحو التالى: إسرائيل ـ الاتحاد الإسرائيلى ـ التليفون ـ الشمس ـ التسعيرة ـ الكليم والصراحة.

وهى تمثل فترة زمنية مسلسلة تمثل الفترة الزمنية كل صحيفة فيها حلقة زمنية ويرجع ذلك لعدم وجود صحف يهودية تمثل الفترة الزمنية المطلوبة للدراسة من بداياتها حتى نهايتها. نظراً لأن أغلب هذه الصحف لم تعش فترات زمنية طويلاً فضلاً عن عدم توفر أعدادها حالياً. ولقد راعينا أن تمثل هذه الصحف الفترة الزمنية المراد بحثها.

ولقد تم اختيار الافتتاحيات[1] لتحليل مضمونها بهدف اكتشاف وتحديد موقف الصحف من خلالها. أما بالنسبة لوحدات التحليل فقد تم اختيار وحدة الفكر السائدة فى الافتتاحية، ومن خلال الملاحظة والقراءة الأولية لهذه الصحف توصلنا إلى نتيجة مبدئية وهى أن الصحف اليهودية بما فيها الصحف الصهيونية فى مصر رغم محاولة ادعائها الاهتمام بالشؤون المصرية ولكن الدراسة الميدانية تؤكد عكس ذلك ،ورغم ذلك فإن هذه النتيجة الأولية لا تخفى حقيقة واضحة وهى وجود بعض الصحف اليهودية التى كان اهتمامها منصبٌ على الشئون المصرية إلى حد كبير مثل صحيفتى الصراحة والتسعيرة.

(١) انظر عناوين الافتتاحيات وتاريخ نشرها بالملحق رقم ٣ .

المؤشرات الوصفية للدراسة

لقد أسفرت الدراسة المسحية لمضمون افتتاحيات الصحف اليهودية خلال العينة الزمنية التى تمثل فترة البحث وهى تشمل إطاراً زمنيّاً يمتد من العشرينيات حتى بداية الخمسينيات عن عدة مؤشرات وصفية يمكن تلخيصها على النحو التالى:

أولاً: أن صحيفة إسرائيل وهى تتضمن الحلقة الزمنية الأولى من فترة الدراسة تركز فى افتتاحياتها على القضية الفلسطينية فى الأساس «١٠ مرات» ثم على قضية اضطهاد اليهود فى ألمانيا «٧ مرات» ولا تكاد تلمح افتتاحية واحدة مخصصة للشئون المصرية.

والواقع أن هذا الموقف من جانب صحيفة إسرائيل يتفق على السياق العام لانتمائها للفكر الصهيونى وتخصيص معظم موادها الإعلامية لخدمة الغرض الأساسى للحركة الصهيونية وهى إقامة الوطن القومى اليهودى فى فلسطين. وهذا يؤكد أن وجودها فى مصر كان مجرد وجود جغرافى لخدمة الأهداف الصهيونية.

ولم يحدث أى اقتراب من جانب هذه الصحيفة للمجتمع المصرى أو همومه الوطنية أو الاجتماعية.

ثانياً: يلاحظ غلبة القضايا الطائفية والدينية على افتتاحيات صحيفتى الاتحاد الإسرائيلى والكليم رغم انتمائها إلى فترات زمنية مختلفة إذ تمثل الاتحاد الإسرائيلى مرحلة العشرينيات بينما تنتمى الكليم إلى مرحلة الأربعينيات.

وفى كلتا الحالتين لا تبدى أى من تلك الصحيفتين اهتماماً يذكر بالقضية الوطنية المصرية أو الشئون المصرية بشكل عام.

ثالثاً: يلاحظ أن صحيفة الشمس كانت حريصة على أن تقدم النموذج

المثالى للصحيفة ذات الانتماء الصهيونى المقنع غير السافر والتى تهتم فى ذات الوقت بهموم ومشاكل المجتمع الذى تصدر فيه والمقصود به المجتمع المصرى فهى لم ترتكب لخطأ الذى وقعت فيه صحيفة إسرائيل بتجاهلها للشؤون المصرية بل خصصت عدداً لا بأس به من الافتتاحيات لمناقشة الشئون المصرية «١٠ مرات» وهذا بغض النظر عن مواقفها من القضية الوطنية المصرية ولكن فيما يتعلق بحجم اهتمامها. فالدراسة تؤكد لنا أن الواقع السياسى المصرى لم يكن غائباً عن افتتاحيات صحيفة الشمس.

رابعاً: هناك صحيفتان يهوديتان كان اهتمامهما بالشئون المصرية بارزا وهما التسعيرة والصراحة، ويلاحظ من قراءة افتتاحيتهما انتماتهما لحزب الوفد وخصوصاً الصراحة التى صدرت فى الأساس كصحيفة وفدية ويمكن من خلال تتبع موضوعات الافتتاحيات التى نشرت بتلك الصحيفتين أن نشهد صورة بانورامية للواقع السياسى المصرى بكل ظلاله وأضوائه خلال الأربعينيات حتى بداية الخمسينيات.

خامساً: لم يخلُ الأمر من وجود صحف يهودية لا تعكس انتماءها المصرى ولا الصهيونى بل تركز على قضايا بعيدة إلى حد كبير عن هدف البحث وصحيفة التليفون تمثل هذا النوع إذ تركز فقط على القضايا الاجتماعية بصورتها المجردة مثل «السعادة وأين تجدها ١٣ أبريل ١٩٢٧» «البؤس وأنواعه والبؤساء ٢٧ أبريل ١٩٢٧».

■■■

يبين هذا الجدول توزيع الافتتاحيات في الصحف اليهودية وفقاً للموضوعات المختلفة خلال فترة الدراسة:

اسم الصحيفة والعينة الزمنية	موضوعات الافتتاحية	التكرار
١ ـ إسرائيل العدد الأول حتى الحادى والخمسين	١ ـ القضية الفلسطينية	١٠
	٢ ـ الحالة في ألمانيا واضطهاد اليهود في المانيا.	٧
	٣ ـ موضوعات اخرى.	٧
٢ ـ الاتحاد الإسرائيلي أبريل ١٩٢٤ إلى أبريل ١٩٢٥ .	١ ـ شئون الطائفة.	١٢
	٢ ـ ضرورة الاتحاد بالنسبة للجنس اليهودي.	٢
	٣ ـ المجلس الملي.	٣
	٤ ـ موضوعات دينية تاريخية.	٩
	٥ ـ موضوعات أخرى.	١
٣ ـ التليفون أبريل ١٩٢٧ .	١ ـ قضايا اجتماعية.	١١
٤ ـ الشمس يناير ١٩٣٥ ديسمبر ١٩٣٥	١ ـ الحالة السياسية في مصر والحركة الوطنية المصرية.	١٠
	٢ ـ القضية الفلسطينية	١٥
	٣ ـ موضوعات أخرى.	١٥

تابع الجدول

اسم الصحيفة والعينة الزمنية	موضوعات الافتتاحية	التكرار
٥ ـ التسعيرة يونيو ١٩٤٤ يونيو ١٩٤٥	١ ـ المدح في حزب الوفد	٤
	٢ ـ مهاجمة حزب الوفد	٥
	٣ ـ المدح في الملك فاروق	٤
	٤ ـ أزمة الورق التي تتعرض لها الصحيفة رغم أنها تنشر التسعيرة	٤
	٥ ـ الأزمات التموينية في مصر	١٣
	٦ ـ دعوة يهود مصر لعدم التدخل في مشكلة الوطن القومي لليهود بفلسطين	٢
	٧ ـ نقابة الصحفيين واجتماعاتها.	٤
	٨ ـ موضوعات أخرى.	٧
٦ ـ الكليم فبراير ١٩٤٥ ديسمبر ١٩٤٥	١ ـ شؤون الطائفة	٧
	٢ ـ نور الدين والشخصية اليهودية	٥
	٣ ـ شؤون المجلس الملي	٣
	٤ ـ تضامن اليهود وتكاتفهم	٥
	٥ ـ مظاهرات وعد بلفور.	١

تابع الجدول

اسم الصحيفة والعينة الزمنية	موضوعات الافتتاحية	التكرار
٧ ـ الصراحة سبتمبر ١٩٥٠ ديسمبر ١٩٥٠	١ ـ تقديم الولاء للملك وحكومة النحاس	١
	٢ ـ الحالة السياسية في مصر	٥
	٣ ـ الصراع بين الشيوعية والولايات المتحدة الأمريكية	٢
	٤ ـ موضوعات أخرى.	٢

obeikandl.com